

تباين الآراء

إن تعدد الآراء بين الناس أمر طبيعي، لأن البشر يعيشون في بيئات طبيعية واجتماعية وثقافية مختلفة، ويمرون بتجارب حياتية كثيرة التنوع، ويتمتعون بمستويات تعليمية وخبرات عملية متباينة كثيرا، ويسعون إلى تحقيق أهداف خاصة وعامة غير متوافقة في معظم الأحيان. إذ على سبيل المثال، يكون لدى بعض الناس خبرة كافية للتعامل مع الأطفال، ويكون لدى آخرين خبرة كافية للتعامل مع كبار السن، فيما يكون لدى غيرهم خبرة كافية للتعامل مع الحيوانات. لذلك يختلف الناس من حيث المواقف والرؤى، ومن خلال اطلاع كل فرد مشارك في عملية النقاش على آراء غيره يصبح بالإمكان التعرف على حقيقة التحديات وخطورتها، والتوصل إلى أفضل السبل للتعامل معها بكفاءة وحسم. ولما كانت التحديات التي تواجه كل مجموعة من الناس كثيرة ومتعددة الأسباب والتبعات، فإن تباين الآراء يثري النقاش، ويؤدي إلى تطوير خيارات متعددة، مما يضعف احتمالات الفشل ويعزز احتمالات النجاح.

في المقابل، حين تنطلق آراء المعنيين بمشكلة اجتماعية من رؤية فلسفية واحدة قد تكون ايدولوجية أو طبقية أو طائفية، يكون من السهل التوصل إلى اتفاق حول القرار المطلوب. لكن سهولة اتخاذ القرار لا تضمن سلامة الاجراء الذي يترتب عليه، لأن المعنيين باتخاذ القرار حرموا أنفسهم، لسبب أو لآخر، من سماع آراء غيرهم من الناس الذين قد يكونوا أكثر معرفة بطبيعة التحدي المعني، وأكثر خبرة في التعامل معه؛ وهذا من شأنه أن يضعف احتمالات الصواب، ويعزز احتمالات الخطأ، وأن يهدر الكثير من القدرات البشرية والمواهب الخلاقة. إن القيام بإقصاء الآراء التي لا تتفق معها، واحتكار عمليات اتخاذ القرارات المصيرية يجعل من الصعب على أي مجتمع أو شعب أن يحقق ما يصبو إليه من أهداف نبيلة وهامة مثل التقدم العلمي، والنهضة، والحرية السياسية والاجتماعية وغير ذلك من أهداف.

وعلى سبيل المثال، إذا كان أحدنا يرأس مجلس إدارة طلابي أو تجاري أو حكومي يتكون من 11 عضوا، وأن 8 من الأعضاء يتفقون معه في الرأي بشكل كامل، فإن عدد المشاركين فعليا في الحوار داخل المجلس يكون ثلاثة فقط، الرئيس ومن لديهم آراء مختلفة. وهذا يستوجب التساؤل عن سبب وجود الأعضاء الثمانية الآخرين ودورهم، وعن مدى ما يتسبب وجودهم في ذلك المجلس من هدر لقدرات المجتمع. نعم، إن وجود هؤلاء يجعل بإمكان الرئيس أن يتخذ ما يراه مناسبا ويروق له من قرارات، لكنه لا

يضمن سلامة القرار ولا يخدم المصلحة العامة. وهكذا، من أجل التحكم في عمليات اتخاذ القرارات يقوم معظم العرب بإقصاء أصحاب الرأي والخبرة، وهدر موارد بشرية وأفكار خلاقة لا تقدر بثمن، والتسبب في اضعاف احتمالات النجاح في مواجهة التحديات وتحقيق التقدم. وهذا يعني أن اتفاق الناس على فكرة ايدولوجية يلغي الحاجة إلى العقل والتفكير وملايين المثقفين، ويضمن التخبط والتخلف وفقدان الحرية.

البروفسور محمد ربيع

www.yazour.com